لصاحبه عند الله عز وجل وحينئذ فقد يقال ان سائر الاعمال قد يكفر بها ذنوب
صاحبها فلا يبقى له اجر فقد روي انه يوازن يوم القيمة بين الحسنات والسيئات
ويقص بعضها من بعض فان بقي من الحسنات حسنة دخل بها صاحبها الجنة قاله سعيد
ابن جبير وغيره فيحتمل ان يقال في الصوم انه لا يسقط ثوابه بمقاصة ولا غيرها بل يوفى
اجره لصاحبه حتى يدخل الجنة فيوفى اجره فيها واما قوله فانه لي فان الله تعالى خص الصيام
باضافته الى نفسه دون سائر الاعمال وقد كثر القول في معنى ذلك من الفقهاء والصوفية
وغيرهم وذكروا فيه وجوها كثيرة ومن احسن ما ذكر فيه وجهان احدهما ان الصيام
هو مجرد ترك حظوظ النفس وشهواتها الاصلية التي جبلت على الميل اليها لله عز وجل
ولا يوجد ذلك في عبادة اخرى غير الصيام لان الاحرام انما يترك فيه الجماع ودواعيه
من الطيب دون سائر الشهوات من الاكل والشرب وكذلك الاعتكاف مع انه تابع للصيام
واما الصلوة فانه وان ترك المصلي فيها جميع الشهوات الا ان مدتها لا تطول فلا يجد
المصلي الم فقد الطعام والشراب في صلوته بل قد نهي ان يصلي ونفسه تتوق الى الطعام
بحضرته حتى يتناول منه ما يسكن نفسه ولهذا امر بتقديم العشاء على الصلوة وهذا
بخلاف الصيام فانه يستوعب النهار كله فيجد الصايم فقد هذه الشهوات فتتوق
اليها نفسه خصوصا في نهار الصيف وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم رمضان
في السفر في شدة الحر دون اصحابه كما قال ابو الدرداء رضي الله عنه كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في رمضان في سفر واحدنا يضع يده على راسه من شدة الحر وما
كان فينا صايم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه
فاذا اشتد توقان النفس الى ما تشتهيه مع قدرتها عليه ثم تركته لله عز وجل في موضع
لا يطلع عليه الا الله عز وجل كان ذلك دليلا على صحة الايمان فان الصايم يعلم ان له
ربا يطلع عليه في خلوته وقد حرم عليه ان يتناول شهواته المجبول على الميل اليها في الخلوة ٦
فاطاع ربه واجتنب نهيه خوفا من عقابه ورغبة في ثوابه فشكر الله تعالى له ذلك
واختص لنفسه عمله هذا من بين سائر اعماله ولهذا قال بعد ذلك انه ترك شهوته
وطعامه وشرابه من اجلي قال بعض السلف طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد

غايب

أي في معنى قوله تعالى فانه لي من حيث اختصاص الصيام باضافته الى نفسه

غايب لم يره لنا علم المؤمن الصايم ان رضى مولاه في ترك شهواته قدم رضى مولاه على
هواه فصارت لذته في ترك شهواته لله لايمانه باطلاع الله تعالى وثوابه وعقابه اعظم
من لذته في تناولها ايثارا لرضى الله تعالى على هوى نفسه بل المؤمن يكره ذلك في خلوته
اشد من كراهته لالام الضرب وكان الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ينشد

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ۔ خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ۔ ولا ان ما يخفى عليه يغيب
لهونا عن الايام حتى تتابعت ۔ علينا ذنوب بعدهن ذنوب
فيا ليت ان الله يغفر ما مضى ۔ وياذن في توباتنا فنتوب
اقول اذا ضاقت علي مذاهبي ۔ وقلبي لتذكار الذنوب يذوب
لطول جناياتي وعظم خطيئتي ۔ هلكت فهل لي في المتاب نصيب
ويذكرني عفو الجليل عن الورى ۔ فاحيى وارجو عفوه وانيب
وارجع في قولي واخضع تائبا ۔ عسى كاشف البلوى علي يتوب

لهذا اكثر المؤمنين لو ضرب على ان يفطر في رمضان لغير عذر لم يفعل لعلمه
بكراهة الله تعالى لفطره في هذا الشهر هذا من علامات الايمان ان يكره المؤمن
ما يلذ به من شهواته اذا علم ان الله يكرهه فتصير لذته فيما يرضي مولاه وان كان
مخالفا لهواه اذا كان هذا فيما حرم لعارض الصوم من الطعام والشراب ومباشرة
النساء فينبغي ان يتاكد ذلك فيما حرم على الاطلاق كالزنا واللواطة وشرب الخمر
واخذ الاموال والاعراض بغير حق وسفك الدماء المحرمة فان هذا يسخط الله تعالى
على كل حال وفي كل زمان ومكان فاذا كمل ايمان العبد المؤمن كره ذلك كله اعظم من
كراهته للقتل والضرب ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم من علامات وجود حلاوة
الايمان ان يكره ان يرجع الى الكفر بعد ان انقذه الله منه كما يكره ان يلقى
في النار وقال يوسف الصديق عليه السلام رب السجن احب الي مما يدعونني اليه
سئل ذو النون رحمة الله عليه متى احب ربي قال اذا كان ما يكرهه عندك امر

ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل
اي امتنع طالبا للعصمة فخزن والحاد والمرية
ما آمره اي ما امر به فيكون الضمير
اياه يعني بحذف ليسجنن وليكونا من الصاغرين
ليكونا من الصاغرين وهو من صغر بالكسر صغرا بالضم
الاذلاء والصغر صغرا وصغارا
رب السجن احب الي مما يدعونني اليه
اي آثر عندي من مواتاتها نظرا
الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس
وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا
لانهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها
او دعونه الى انفسهن بيضاوي

Copyright © King Saud University